

نبيل شبيب

الفلسفة والتثليث

أثر الفرضيات الفلسفية التاريخي على معتقدات التثليث

تمهيد

أولاً: الإطار العام

العقبة الأولى: مرجعية النصوص

العقبة الثانية: تعدد الكنائس

العقبة الثالثة: تعدد قوانين الإملاعات العقديّة/ دوجما

العقبة الرابعة: صعوبة البحث في مسألة التثليث بالذات

ثانياً: البعد التاريخي

وعاء الأحداث التاريخية

التسلسل التاريخي لمضمون التثليث

ثالثاً: محطات ترسيخ التثليث

مسيحيون أم نصارى؟

"لوجوس" نموذجاً للجانب الفلسفي

لا انفصال ولا اندماج

سيدنا المسيح عليه السلام

خاتمة

هوامش البحث

تمهيد

ليست الغاية من هذا البحث نفي صحة التثليث من الناحية العقيدية ولا إثباتها أو الخوض في مناقشة حولها، إنما الغاية منه بيان جانب واحد من المنطلق الإسلامي وهو خطورة استخدام الرؤى الفلسفية المتناقضة في التعامل مع العقيدة الدينية، ويستدعي ذلك كثرة الدعوات إلى هذا الاتجاه في المكتبة الفلسفية العربية، لا سيما تحت عنوان تطبيق رؤى الفلسفة اللغوية لتفسير النصوص الشرعية الإسلامية.

ومن هنا يؤخذ الاندماج الكنسي-الفلسفي مثالا، يطرح على أرض الواقع حصيلة الجمع بين عناصر فلسفية وأخرى دينية، لطرح السؤال عن المعيار المطلوب لاستيعاب أبعاد انتشار دعوات في الوقت الحاضر للأخذ بكثير من أطروحات الفلسفة الغربية والتعامل بمنظورها مع الإسلام، من خلال ما يسفر عنه البحث الموضوعي عن العوامل المسوّغة لذلك والعوامل التي تستدعي رفضه في المنطقة الحضارية الإسلامية، فاستعراض الاندماج الكنسي الفلسفي تاريخيا في ميادين "العقيدة" مع تأسيس الكنائس الرئيسية وولادة الفلسفة الكنسية، تظهر للعيان طبيعة التأثير الحاصل نتيجة ذلك الاندماج وأبعاده.

ويُتصل بذلك سؤال جوهرى آخر: هل يمكن في العصر الحاضر الأخذ بأطروحات فلسفية غربية معاصرة، دون الأخذ بعناصر مسيحية كنسية دخلت في تكوينها؟.. وهل يمكن فهم المسيحية المعاصرة كما هي معروفة في الغرب حاليا دون رؤية عناصر فلسفية دخلت عليها من خارج نطاقها؟

وقد اعتمدت المعلومات الواردة في البحث اعتمادا أساسيا على الإصدار الألمانية مما يسمّى الموسوعة الشعبوية/ ويكيبيديا، والجدير بالتنويه أن النسبة الأكبر من محتوياتها عموما يرقى إلى مستوى بحوث ويخضع للمراجعة والتدقيق بأسلوب منهجي، فلا ينبغي تقويمها انطلاقا من واقع الإصدار العربية، التي ما تزال مفتقرة إلى البحوث والمراجعة والتدقيق غالبا.

وتفرض سعة الموضوع استخدام كثير من الكلمات "المحورية" على امتداد فترة تاريخية طويلة، وكلّ منها يحتاج إلى شرح اصطلاحى، ورغبة في تجنّب أن تقطع الشروح سياق البحث، أو إطالة قسم الهوامش واضطرار القارئ إلى العودة له بصورة متتابعة، وُضعت هذه الكلمات المحورية في سياق النص بخط مائل، لإبرازها ووضع شروحا حسب تسلسل ورودها في الإطار المجاور يسارا للنص الأصلي.

ولا يمكن استعراض موضوع الاندماج الفلسفي-الكنسي من كافة جوانبه، فاخترت مثال التثليث نموذجا، لا سيما أنّه -من حيث الأساس لا التفاصيل- هو القاسم المشترك عموما بين الكنائس الرئيسية، دون إغفال وجود كنائس أصغر نسبيا ترفض الأخذ بالتثليث، أي لا تقبل حتّى بالخطوط العريضة المشتركة بصدده بين الكاثوليكية والأورثوذكسية والبروتستانتية والإنجيلية.

ولم يعد يمكن التمييز من الناحية التاريخية أو من حيث المضمون بين تعاليم كنسية محضة وأطروحات فلسفية غربية دخلت على تلك التعاليم، ذلك أنّ الكنائس نفسها لم تفصل بين هذا وذاك على امتداد 15 قرنا، أي منذ بدأ الاندماج الفلسفي الكنسي عقب ميلاد المسيح عليه السلام بفترة وجيزة نسبيا.

والجدير بالذكر أننا لا نتحدث هنا عن علم الفلسفة بحد ذاته، أي من حيث كونه في الأصل فرعاً من فروع

علم الفلسفة

يسري على علم الفلسفة أنه يقوم على خمسة أركان (1) المنطق، و (2) نظرية المعرفة، و (3) علم ما وراء الطبيعة وفلسفة الوجود، و (4) فلسفة السلوك، و -حديثاً- (5) فلسفة الجماليات/ الأدواق. أما الفروع الاختصاصية الناشئة مع مرور الزمن، فهي نظرة الفلسفة في ميادين علمية أخرى، مما فتح الأبواب لنشأة خلفيات فلسفية لأطروحات ومصطلحات تحمل عناوين تلك الميادين، كالحتمية "التاريخية"، أو الواقعية "الثقافية"، وتشمل هذه الفروع: (1) فلسفة الفكر (2) فلسفة الطبيعة (3) فلسفة العلم (4) فلسفة الدين (5) فلسفة الثقافة (6) فلسفة الحياة (7) فلسفة التاريخ (8) الفلسفة السياسية (9) الفلسفة القانونية (10) الفلسفة الاجتماعية (11) فلسفة الرموز. ويتبع لها أيضاً: (12) فلسفة اللغة (13) علم الأنسنة أو فلسفة علم الإنسان، وهما فرعان تخرج بهما مدارس فلسفية حديثة من مستوى "فروع"، وتعتبرهما ركنين أساسيين، إضافة إلى الأركان الخمسة السابقة. أما الطرق الفلسفية فهي أساليب البحث الفلسفي المتبعة في أي موضوع أو ميدان، وهي موضع التطبيق في العلوم الأساسية الفلسفية وفي الفروع الاختصاصية، وتلعب بذلك دوراً رئيسياً في ظهور نتائج متباينة ومتناقضة على حسب ما يختار المشتغل في الفلسفة ويعتبره صواباً دون سواه. وكل طريقة فروع متشعبة، مما يجعل الطرق الفلسفية تصل إلى العشرات أو المئات، كما يجعلها مع التعصب المقترن باستخدامها، هي المصدر الرئيسي لما نسميه شطحات فلسفية. أهم هذه الطرق الفلسفية، الرئيسية دون فروعها: (1) المثالية (2) العقلانية (3) الموضوعية (4) الإيمانية (5) النقدية (6) الزبئية (7) الجدلية (8) التحليلية (9) المادية (10) الوضعية (11) البنوية (12) الوجودية (13) التجريبية الحسية (14) الذرائعية (15) الواقعية (16) الظواهرية -من دراسة الظواهر- (17) اللغوية (18) التفكيكية.

العلوم، يقوم على أصول منهجية قوية لطرح ألوان من التفسير للواقع، بغض النظر عن وجود مناهج فكرية تنتسب إليه، وشطحات "فلسفية" تسيء إليه.

إنما يدور الحديث هنا عن أطروحات وتصورات متناقضة فيما بينها كالمادية والمثالية، أو البنوية والتفكيكية، يضعها أناس من البشر، وينطلقون فيها مما يختارونه لأنفسهم من نظريات فلسفية، كما كان مع الشيوعية وربطها بالجدلية التاريخية، أو العلمانية وربطها بالإمبريقية، ثم يعملون على

فرض تصوراتهم على سواهم، وينسبون هذا الخليط الكبير أو بعضه الذي يختارون منه، إلى "علم" الفلسفة!.

الفلسفة الإغريقية

يشير الفيلسوف الألماني كارل ياسبرس-Karl Jaspers (ت 1669م و 1388هـ) إلى تزامن نشأة الفلسفة في حقبة زمنية أطلق عليها وصف العصر المحوري، واستشهد بتزامن نشأة الفلسفة خلالها في أكثر من موقع في الأرض، نافياً صحة القول بالنشأة الإغريقية حصراً للفلسفة، التي يراها أساس الحضارات البشرية، وياسبرس-كأقرانه الغربيين- يصنّف الديانات تحت عناوين فلسفية. والجدير بالذكر هنا أن بعض ما يكتب بالعربية بشأن إيمان بعض الفلاسفة، إنما يمؤه غالباً على أن هذا الإيمان يقتصر على تصورات فلسفية بشأن وجود قوة غيبية ما، من قبيل لوجوس أو إيبيرون، ولا علاقة لذلك بالإيمان بالله، كما هو معروف في العقيدة الإسلامية. من أوائل من يذكر المؤرخون الغربيون أنهم مارسوا الفلسفة ممارسة عملية، والمقصود أنهم -وفق المفهوم الغربي للفلسفة- طرّحوا أفكاراً حول الإله والإنسان والوجود:

- 1- طاليس-Thales الإغريقي (ت 546 ق.م) الملقّب غربياً بمؤسس الفلسفة.
- 2- زرادشت الفارسي، (ت 486 ق.م احتمالاً) وفق ما أورده البيروني (ت 440هـ و 1048م)، وتذكر مصادر أخرى أن زرادشت عاش قبل ذلك، وتصل الفارسية منها إلى عام 1800 ق.م.
- 3- كونفوشيوس الصيني (ت 479 ق.م على الأرجح).
- 4- بوذا الهندي (ت حوالي 370 ق.م).

الفلسفة الإغريقية هي الفلسفة التي سادت في الحقبة ما بين القرن 6 ق.م والقرن الثاني -ومن المؤرخين من يقول القرن الخامس- الميلادي، أي عند استقرار الفلسفة الكنسية مكانها.

أذاك.. بعد ظهور المسيحية في مناطق غلبت عليها الفلسفة الإغريقية، انتشر:

((استخدام المصطلحات الفلسفية في الجدل مع أصحاب الفكر الآخر لعرض الدين المسيحي على غير المسيحيين في شكل تعاليم عقلانية وصيغة فلسفة عليا...))

ورغم رفضهم الفلسفة أخذ المرافعون (أي المدافعون عن المسيحية بأسلوب المرافعة القضائية) بمصطلحاتها

ودمجوها في التعاليم المسيحية، وبهذا أوجدوا الشروط الأولية التالية لمنظومة **الإملاءات العقديّة/ دوجما**

المسيحية و**نشأة الفلسفة**

الكنسية⁽¹⁾.

ثمّ ازداد الاندماج الفلسفي -

الكنسي، إذ:

((كان الآباء الكنسيون في

القرنين 2 و3م، مثل

الإملاءات العقديّة/ دوجما

كلمة دوجما من المصطلحات الأساسية الكنسية، وتعني إيمان التسليم، سواء اتفق مع المعقول أم لم يتفق، وتملي الكنيسة على أتباعها هذا الإيمان على ما تقرره من قوانين كنسية عقديّة، وإيمان التسليم منطلقاً إلى مفاهيم عديدة في عالم المعرفة الغربي، بصورة تجعلها مختلفة عما استقرّ عنها في الدائرة الحضارية الإسلامية، مثل كلمات الإيمان، والدين، والنبوءات، وغيرها. ويدخل تحت عنوان الإملاءات الكنسية العقديّة مثلاً التثليث، وعصمة البابا الكاثوليكي، والخطيئة الموروثة.

جوستينوس وتيرتوليانوس يعرضون الدين المسيحي بتعابير الفلسفة الإغريقية، في استعارات من فلسفة أفلاطون،

وفيلون (وهو فيلسوف يهودي

ظهر في الاسكندرية أيام

ميلاد المسيح عليه السلام)،

والفلسفة الرواقية، والأفلاطونية

الجديدة، وارانوا بذلك تقريبه

(أي الدين) من الثقافة

المهيمنة آنذاك.. وكان كثير

من علماء الدين المسيحي

الأوائل فلاسفةً في الوقت

الآباء الرسل والآباء الكنسيون

الرسول لغويًا هو المرسل من جهة إلى أخرى. اصطلاحياً: يُطلق وصف الرسل كنسياً على الأنصار الاثني عشر الأشهر من سواهم، ممّن أرسلهم المسيح عليه السلام ليلبغوا رسالته، ولا يسري هذا المفهوم على كلمة رسل بمعناها الاصطلاحية الإسلامي، إذ تقتصر على من أرسلهم الله عزّ وجل، مع الاعتقاد بأن المسيح نبيّ مرسل، وليس إلهاً يُرسل الرسل. كما تطلق الكنيسة وصف الآباء الرسوليّين على أهمّ تلامذة "الرسل"، ووصف المرافعين على المدافعين عن المسيحية بأسلوب المرافعة القضائية، ويشمل وصف الآباء الكنسيّين من اعتمدت التعاليم الكنسية على ما نُسب إليهم تحقيقاً أو ترجيحاً من أقوال وكتابات، على اختلاف في ذلك ما بين الكنائس المتعدّدة.

نفسه. وحتى عصر النهضة لم يكن يوجد ما يميّز بين علم الأديان والفلسفة⁽²⁾.

يمكن المضيّ طويلاً مع هذه الاستشهادات، عن فترة الآباء الرسوليّين من الجيل الثاني والثالث بعد ميلاد المسيح

عليه السلام، مثل كليمنس وبولوكارب، إلى فترة أوائل الآباء الكنسيّين مثل أوريجينيس وجوستينوس، وعبر حقبة

المؤسّساتية المعتمّدة أكثر من سواها، والتي كان من أشهر أعلامها أوجستينوس، وصولاً إلى أوج فترة الفلسفة

الكنسية التي عُرفت بالمدارسية في أواخر العصر الوسيط الأوروبي، وكان أشهر أعلامها توما الأكويني.. فطوال

هذه المراحل كان الاندماج الفلسفي-المسيحي يبيّن الأطروحات الفلسفية والدينية على بعضها بعضاً، توافقا

وتناقضاً، على غرار مسيرة الفلسفة الإغريقية القديمة.

رغبةً في التبسيط قدر الإمكان، ننظر في بعض جوانب الموضوع فقط تحت العناوين التالية:

الإطار العام.. لتحديد مواضع العقبات والصعوبات في طرح الموضوع.

البعد التاريخي.. لوضع مسألة التثليث في قالب تطورها زمنياً.

محاور فلسفية للتثليث.. لتحديد أهمّ الأركان التي يقوم عليها.

وندع في هذا الموضوع الحديث عن الخلفيات السياسية التي رافقت تطوّر مسألة التثليث، رغم أهميتها، بدءاً

بتأثير حقبة الاندماج الروماني-الكنسي، مروراً بسيطرة الكنيسة والإقطاع على السلطة، انتهاء بعصر "التنوير"

وما انبثق عنه.

أولاً: الإطار العام

العقبة الأولى: مرجعية النصوص

العقبة الثانية: تعدد الكنائس

العقبة الثالثة: تعدد قوانين الإملاءات العقدية/ دوجما

العقبة الرابعة: صعوبة البحث في مسألة التثليث بالذات

الحديث عن علاقة التثليث بالفلسفة الغربية بالغ الصعوبة نتيجة عقبات عديدة، أهمها: مرجعية النصوص، وتعدد

الكنائس، وتعدد القوانين

الكنسية، وطبيعة البحث نفسه.

العقبة الأولى: مرجعية

النصوص

لا يفيد الرجوع إلى كتب العهد

الجديد/ **الأناجيل** أو إلى علم

اللاهوت من أجل استخلاص

حصيلة واضحة وحاسمة، ليس

نتيجة تعددها فقط، إنما لسبب

أبعد من ذلك، يقول به بصيغ

متشابهة باحثون غربيون لا

يصنّفون كتب الأديان السماوية

كمصدر "علمي"، وكذلك يقول

به أصحاب الشأن من

المصادر الكنسية والملتزمون

بها، فيتلاقون في ذلك مع كثير

مما تحدّث عنه بعض الباحثين

من المسلمين. من الأمثلة على

ذلك:

أ- ما جاء في موسوعة

ويكيبيديا الشبكية:

((المصطلحات الواردة في

الأناجيل

انطلاقاً من القرآن الكريم انتشر في الدائرة المعرفية الإسلامية أنّ الإنجيل هو الكتاب الذي أنزل

على عيسى والتوراة هي الكتاب الذي أنزل على موسى عليهما السلام. اللفظة الأجنبية للكلمة:

Bibel، ذات أصل إغريقي وتعني **الكتب**. اصطلاحياً: الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى

معاً، ويشمل **"كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد"**، وتعني كلمة كتب: الأقسام أو الفصول أو

الأسفار المتعددة في الإنجيل، ومنها 4 أقسام أولى هي **أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا**، ثمّ

تُذكر رسائل "الرسل" وما يحمل عنوان "رؤيا القديس يوحنا".

الأناجيل الأربعة المذكورة هي المقصودة بالقول إنّ الكنيسة اختارت 4 روايات إنجيلية واعتبرتها

وحدها المعترف بها، عند تثبيت نصوص العهد الجديد في القرن 4م، وكانت نصوص العهد

القديم قد بُنيت في القرن 1م. ويستند قسم من نصوص العهد الجديد على مخطوطات قديمة

مازالت محفوظة بغض النظر عن الاختلاف بين الكنسيين والباحثين الغربيين حول صحّة نسبتها

إلى كاتبها، أقدمها من القرن 2م، ومعظمها من القرنين 3 و4م.

يضاف إلى ذلك استمرار وجود اختلاف بين الكنائس نفسها فيتأرجح عدد الأسفار/ الأقسام أو

الفصول، بين 22 و24 في كتب العهد القديم، و39 و46 في كتب العهد الجديد. وتوجد كتابات

لا تعترف بها الكنائس الرئيسية، بينما تتعامل معها -كالتعامل مع الأناجيل- طوائف وجماعات

تتنسب إلى المسيحية أيضاً.

ولا تقبل الكنائس بما يُعرف بإنجيل برنابا، نسبة إلى الملقّب بكلمة Barnabas أي ابن الوعظ،

وكان اسمه يوسف من بين "الرسل" الاثني عشر. النسخة القديمة الوحيدة المعروفة باسم إنجيل

برنابا في الوقت الحاضر نسخة إيطالية محفوظة منذ العثور عليها عام 1709م/ 1121هـ، وبقيت

قليلة من نسخة قديمة بالأسبانية، والأرجح كما يقول الباحثون الغربيون أنه كُتب في القرون

الوسطى الأوروبية.

اللاهوت

اللاهوت هو العلم الخاص بدراسة الدين المسيحي، ولم يتغيّر ذلك في الجامعات الحديثة في

الدول العلمانية، وكلّ ما يرد فيه خارج هذا الإطار عن الأديان الأخرى يخضع لمعايير تعود إلى

الرؤية الدينية المسيحية الكنسية، ومن الأفضل عدم استخدام كلمة علم الإلهيات ترجمة لكلمة

اللاهوت، لتجنّب الظنّ أنّ دراساته تشمل مفهوم الألوهية بمنظور ديني غير مسيحي.

تعريف التثليث اللاهوتي غير موجودة في الإنجيل⁽³⁾، والمقصود هنا مثلا الأقانيم، والطبيعة المزدوجة، ممّا سيأتي الحديث عنه لاحقا.

ب- ما يعبر عنه القس جيمس أنس -مدافعا عن التثليث- في كتابه "علم اللاهوت النظامي" في موقع شبكي عنوانه "الردّ على الإسلام" قائلا:

((.ونحن نسلّم بأننا لا نقدر أن نوضّح بالتفصيل كلّ المقصود في كلمة "أقنوم"، ولا حقيقة العلاقة التي تقوم بين الأقنوم والجوهر، وعجزنا هذا غير مقصور على تعاليم التثليث، لأنّ معظم ما نعرفه من جميع الأمور المادية والروحية ليس هو إدراك الجوهر، بل معرفة صفاته وخواصّه⁽⁴⁾).

وليس الشاهد هنا هو القول إنّ عقيدة التثليث صحيحة أو غير صحيحة، فليس هذا موضوع البحث، بل الشاهد هو تثليث صعوبة الشرح على المتخصّصين أنفسهم، وهو ما يربطه تعميم ما تثبتته الكنيسة من أنّ الإيمان ينبغي أن يكون إيمان التسليم فحسب، وهو ما ينطوي عليه تعبير الإملاءات العقديّة الكنسيّة/ دوجما المعروف.

ت- من أراد يمكن أن يعود أيضا إلى عدد من الكتب التي تناولت بالعربية العقائد المسيحية بالبحث من منطلق

إسلامي، منها ما ظهر قديما،

مثل ما كتبه ابن القيم الجوزية

(ت751هـ/1350م) بعد حقبة

الحروب الصليبية، ومنها كتب

حديثة نسبيا، مثل كتب أحمد

ديدات (ت1426هـ/2005م).

ومن الكتب التي تتناول مسألة

التثليث ببعض التفصيل كتاب

"المسيح في مصادر العقائد

المسيحية- خلاصة أبحاث علماء

المسيحية في الغرب"⁽⁵⁾.

العقبة الثانية: تعدّد الكنائس

في الوقت الحاضر توجد الكنائس

الكاثوليكية، والأورثوذكسية،

والبروتستانتية، والإنجيلية،

وطوائف ومجموعات كنسية

عديدة، بالإضافة إلى ما عُرف

بمجموعات تاريخية، أي

اتجاهات مسيحية ظهرت

الكنيسة الكاثوليكية
لغويا: الجامعة أو العامّة. اصطلاحيا: كنائس عديدة ذات أسس مشتركة. أهمّها الكاثوليكية في روما، التي توصف أيضا بالرومية أو الغربية أو اللاتينية، ثمّ الكاثوليكية الشرقية، وكنائس رسولية تتطلق من معنى الكنيسة الجامعة، وكنائس أرثوذكسية لكنّها تحمل اسم الكاثوليكية، وغير ذلك. وعندما يقال كاثوليكية عموما، تُقصد الرومية الغربية. وتشارك الكنائس الكاثوليكية مع الكنائس الرئيسية الأخرى في الالتزام (عموما) بحصيلة سبعة مجامع مسكونية عامّة، انعقد أولها عام 325م، وآخرها عام 787م/170هـ.

الكنيسة الأورثوذكسية
لغويا: تعني الأورثوذكسية الإيمان الحق. يُقال الكنائس الشرقية أو الكنائس الأورثوذكسية، أهمّ مراكزها في اسطنبول، ويُطلق وصف الأورثوذكسية على كنائس أخرى، كالآشورية. تتميز بتراث إغريقي وبيزنطي، والأخذ بلغات محلية حسب أماكن وجودها، كالكنيسة السلافية. أهمّ محطات الانفصال بينها وبين الكاثوليكية بعض ما أضافه مجمع طليطلة المسكوني الكاثوليكي 589م على صيغ التثليث.

الكنيسة البروتستانتية
لغويا: البروتستانتية تعني الاحتجاجية. نشأت في القرن 16م/10هـ عبر حركة الإصلاح الديني واستهدفت تعديل قسم ممّا رسخ من تعاليم الكاثوليكية. أسسها مارتن لوتر - Martin Luther (ت1546م/952هـ) وتقرّعت لاحقا، وتميّزت عن الكاثوليكية والأورثوذكسية بإلغاء عددٍ من المظاهر والطقوس بالإضافة إلى رفض بعض الطقوس، مثل صكوك الغفران، ورفض القول بعصمة البابوات، وغير ذلك.

الكنيسة الإنجيلية
لغويا: الإنجيلية تعني الإنجيلية. ارتبطت نشأة هذه الكنيسة عام 1534م/940هـ بخلاف بين العائلة الإنجيلية المالكة والبابوية الكاثوليكية في روما، حول زواج تناقض مع تعاليم الكنيسة، فنصّب الملك نفسه على الكنيسة وانفصل بها عن الكاثوليكية. وانتشرت الكنيسة الإنجيلية في هذه الأثناء في بلدان عديدة، وتعاليمها مزيجٌ من الكاثوليكية والبروتستانتية.

وتناقضت إلى درجة التكفير المتبادل/ الاتهام بالهرطقة، وقد ظهرت بقوة في المراحل التاريخية الأولى للمسيحية،

قبل رسوخ الكنائس الكبرى -
المعروفة حالياً- على اتجاهات
التثليث عموماً وملاحقة
معارضيتها. ثم إذا أخذنا الكنائس
المستقرّة والأكبر نسبياً،
كالبروتستانتية مثلاً، وجدناها
تتفرّع إلى لوثرية، وتجديدية،
واتحادية، وغيرها، وهذا ما يسري
على سواها، ثم نجد

تحت كلّ عنوان فرعي مزيداً من
الفروع، أي نجد في الحصيلة
مئات الكنائس المنفصلة عن
بعضها بعضاً، فتستحيل المقارنة
الدقيقة بين الأسس العقديّة،
كمسألة التثليث.

**العقبة الثالثة: تعدّد قوانين
الإملاءات العقديّة/ دوجما**

هي القوانين الكنسيّة ويُطلق
عليها أحياناً قوانين الإيمان، وقد
حدّتها الكنائس لصياغة ما
استقرّت عليه عقدياً، فيوجد مثلاً
القانون النيقوي -وتعدّلاته-
والأثناسي، والخلدقوني، وتوجد

اختلافات من حيث ما هو
مشارك بين الكنائس الرئيسية، ثمّ
ما تتبناه كلّ كنيسة على حدة،
إضافة إلى ما تتبناه الكنائس
والمجموعات والطوائف الأصغر،
وهو ما لا يمكن حتّى
للمتخصّصين الإحاطة به إحاطة
تامة.

الهرطقة

الهرطقة لغويًا: المروق عن الدين، وتشابه معناها كلمة الزندقة في التراث الإسلامي. واستُخدمت كلمة الهرطقة في عصر الإغريق، وبمعنى المروق أو الانشقاق عبر التاريخ الكنسي، ومن ذلك أثناء نشأة الكنائس المسيحية الأولى عندما كانت مسائل الألوهية والتوحيد والتثليث أهمّ محاور الخلافات، وأهمّ مرتكزات تبادل الاتهام بالهرطقة. وتعني كنسياً إنكار الإملاءات العقديّة الكنسيّة/ دوجما، وكانت تمثّل الاتهام الرئيسيّ الموجه إلى معارضي الكنائس، وما تتبناه من إملاءات، وجرى توظيف الاتهام في أواخر العصر الوسيط الأوروبي لملاحقة المعارضين للاستبداد الكنسي أيضاً.

القوانين الكنسيّة

لغويًا: كلمة Kanon المستخدمة كنسياً، إغريقية الأصل تقابلها كلمة القانون بالعربية. اصطلاحياً: الصيغ التي توضع غالباً في شكل إملاءات عقديّة/ دوجما، وتُعطى صفة الإلزام. معظم القوانين الكنسيّة حالياً نشأ عبر المجامع المسكونيّة، بعضها مشترك وبعضها موضع اختلاف وتمايز بين الكنائس.

القانون النيقوي

نشأ عن المجمع المسكوني في نيقية عام 325م، وشهدت صيغته الأولى تعديلاتٍ وحدفاً وإضافة، منها حذف عبارة "إله من إله" وصفاً للمسيح ثمّ إعادتها مرّة أخرى، وإضافة كلمة "والابن" في عبارة تذكر انبثاق الروح القدس من الأب، وهو ما سبّب لاحقاً اكتمال الانشقاق الكاثوليكي-الأورثوذكسي.

القانون الأثناسي

يُنسب إلى أثناسيوس - Athanasius (ت 373م)، وكان على رأس الأورثوذكسيين قبل انفصال الكنيستين الكاثوليكية والأورثوذكسية، وأشدّ خصوم الأريوسيين في النزاع الأكبر تاريخياً حول التثليث. وحذفت بعض الكنائس، كالأرثوذكسية اليونانية، القانون الأثناسي من الصلوات بسبب ما فيه من لعناتٍ على المتهمين بالهرطقة. ومن نصوصه ((والإيمان الكاثوليكي هو أن نعبد إلهاً واحداً في تثليث، وثالوثاً في توحيد... لا نمزج الأقانيم ولا نفصل الجوهر... للأب أقتوم على حدة، وللابن أقتوم آخر، وللروح القدس أقتوم آخر... ولكن للأب والابن والروح القدس لاهوت واحد ومجد متساوٍ وجلال أبدي معاً... الأب سرمدٌ، والابن سرمد، والروح القدس سرمد... ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمد واحد... وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محدودين، بل واحد غير مخلوق وواحد غير محدود)).

القانون الخلدقوني

هو الصيغة التي خرج بها مجمع خلقدونية المسكوني 451م، وتميّزت بأنها أوردت لأول مرّة تثليث ما اعتبرته الكنيسة الطبيعة المزدوجة للمسيح عليه السلام، فمما تقول الصيغة ((ربنا يسوع المسيح، الكامل في اللاهوت والكامل أيضاً في الناسوت. إله حق وإنسان حق، ذو نفس ناطقة، وجسد جوهر واحد مع الأب بحسب لاهوته، وجوهر واحد معنا بحسب ناسوته، في كل شيء مثلنا ما عدا الخطية)).

الاستشهادات المذكورة من نصوص قوانين الإيمان منقولة عن: جيمس أنس، "علم اللاهوت النظامي"، فصل "قوانين الإيمان"

<http://answering-islam.org.uk/Arabic/Books/Theology/index.html>

العقبة الرابعة: صعوبة البحث في مسألة التثليث بالذات

تكفي هنا الإشارة إلى أنّ التثليث هو المسألة الكبرى التي شغلت مؤسسي الكنائس الرئيسية، والقائمين على صياغة أسس فلسفية-كنسية لها ولقوانينها، شملت محاور كبرى كمفهوم الألوهية، ومفاهيم الأب والابن والروح القدس، وماهية المسيح عليه السلام، ولم تسفر الجهود المتواصلة في مرحلة ما عن نتائج حاسمة، فكانت

النزاعات تنقل التثليث أو بعض محاوره، قرناً بعد قرن، ليأخذ مرة بعد أخرى، مكانة متقدمة على جداول أعمال مجامع مسكونية، كبرى جامعة للكنائس، وانفرادية لكنيسة بعينها، وغالبا ما انعقدت بعد اتساع نطاق الخلافات بين الاتجاهات المختلفة، فاحتاجت مسألة التثليث بالذات إلى قرون عديدة دون الوصول إلى صياغة محكمة أو جامعة، مع أنه يمثل العلامة الفارقة للمسيحية.

كما لا يغيب العنصر الفلسفي -

ولا السياسي أيضا- في الخلافات منذ نشأتها الأولى وعبر سائر المراحل اللاحقة، ولهذا لا بدّ في البحث عن الاندماج والتداخل الفلسفي-الكنسي من العودة إلى بدايات الاحتكاك بين الأطروحات الفلسفية الغربية وما طرحته المسيحية الوليدة أو طرح باسمها آنذاك، لتقدير حجم التأثير أو التأثر بين هذا وذاك.

المجمع المسكوني

المجمع المسكوني في الأصل مؤتمر يضمّ الأساقفة من أنحاء الأرض/ المسكونة. تراثيا يشار إلى اجتماع الرسل يعقوب وبطرس ويوحنا في القدس قبل عام 50م ترجيحاً، ليوصف بأول مجمع مسكوني أو بالأساس الديني لمشروعية ما يصدر عن المجمع المسكونية، وكان قد استهدفَ آنذاك إنهاءً خلافات ذوي الأصل اليهودي مع غيرهم من معتنقي المسيحية. تاريخياً انعقد أول مجمع محليّ مسكوني 319م في الاسكندرية، عقب اندلاع ما عُرف بالنزاع الأريوسي حول أوائل ما طُرح من أفكار التثليث. كنسياً يُركّز على اعتبار المجمع الأول مجمع عام 325م في بلدة نيقية/ إستانك التركية حالياً، وهو أول مجمع أقرّ الصيغة المبدئية الأولى للتثليث، وكان تحت تأثير الامبراطور الروماني قسطنطين الأول. وتلتقي الكنائس عموماً على 7 مجامع مشتركة، رغم انفصال الآشورية الشرقية بعد مجمع إفيسوس-Ephesus (مدينة قديمة في تركيا جنوب إزمير) 431م، وانفصال الكنائس الشرقية القديمة في مجمع خلقدونية (مقابل القسطنطينية على البوسفور قديماً) 451م، وانفصال الكنيسة المارونية في مجمع القسطنطينية الثاني 680م.

ثانياً: البعد التاريخي

وعاء الأحداث التاريخية

التسلسل التاريخي لمضمون التثليث

وعاء الأحداث التاريخية

يُميّز المؤرّخون الغربيّون -كالكنائس نفسها- بين مراحل تاريخية متتابعة منذ ميلاد المسيح عليه السلام إلى اليوم، وتلتقي التقسيمات عموماً على:

(1) حقبة المسيحيين الأوائل. كانت في القرن الأوّل إلى أواسط القرن الثاني الميلاديّين.

(2) حقبة الكنيسة القديمة. توصف بالمشاركة تاريخياً بين سائر الكنائس الرئيسية، ويظهر الخلاف فيما عدا ذلك، ويتراوح طولها بين 3 و7 قرون، حسب المنظور إلى الانشقاقات الجارية.

(3) حقبة استقرار على محوري الكاثوليكية والأورثوذكسية لمدة 6 قرون تقريباً، وملاحقة سواهما.

(4) حقبة الانقسامات الإصلاحية بظهور البروتستانت والإنجليكيين أواخر العصر الوسيط الأوروبي.

(5) ظهور كنائس جديدة بعد اضمحلال السيطرة الكنسية في العصر الحديث الغربي.

مسألة التثليث الذي نتاوله مثلاً نموذجياً على سواه، كانت قبل تثبيت تلك النصوص وبعده في المقدّمات بين الأطروحات الفلسفية الكنسية، ومرّ ترسيخ التثليث كنسياً بسلسلة تطوّرات إلى أن أصبح جزءاً من الإملاءات العقدية الكنسية/ دوجماً، وتوزّعت هذه التطوّرات على المراحل التالية:

في حقبة المسيحيين الأوائل لم تُطرح مسألة التثليث إطلاقاً.

في القرن التالي ظهرت مقدّمات أولى في اتجاه التثليث.

في القرنين 3-4م ظهرت أطروحات التثليث فاقتربت بنزاعات حادّة حول محاوره الأساسية.

في القرون 5-9م ظهرت نزاعات حادّة حول محاور فرعية.

في القرون 9-15م بلغت ملاحقة المعارضين للكنيسة ذروة حدّتها بما شمل معارضي التثليث.

بعد القرن 15م بدأ استقرار التثليث كنسياً واستمرّ وجود المعارضين والمخالفين.

لقد اتّخذ التسلسل التاريخي لتثبيت أطروحات التثليث المراحل المذكورة، وفي كلّ مرحلة منها عدد من المحطات التاريخية الحاسمة، المرتبطة زمنياً في غالب الحالات بعدد من **المجامع المسكونية**، الجامعة والإقليمية أو التابعة لكنيسة بعينها. لقد اتّخذ التسلسل التاريخي لتثبيت أطروحات التثليث المراحل المذكورة، وفي كلّ مرحلة منها عدد من المحطات التاريخية الحاسمة، المرتبطة زمنياً في غالب الحالات بعدد من **المجامع المسكونية**، الجامعة والإقليمية أو التابعة لكنيسة بعينها.

أ - في القرن 4م، في ذروة **النزاع الأريوسي**، وهو أكبر النزاعات التاريخية الأولى حول القول بألوهية المسيح عليه السلام، ثمّ تحت تأثير خلفيات سياسية وكنسية انعقدت عدّة مجامع مسكونية، جامعة ومحلية، أهمّها:

- 325م **مجمع نيقية الأولى**، الذي شهد مواجهة الأريوسيين الراضين للتثليث.

353م أرسل، عودة الأريوسيين للواجهة، الكنائس الرئيسية (لاحقا) ترفض نتائجه.

355م ميلانو، ترسيخ مواقف الأريوسيين، الكنائس الرئيسية (لاحقا) ترفض نتائجه.

381م مجمع قسطنطينية الأول، انحسار نفوذ الأريوسيين الراضين للتثليث.

ب- في القرنين 5 و6م، استمرت الخلافات حول محاور مسألة التثليث، وانعقدت سلسلة مجامع أخرى تناولتها بالبحث والقرارات: 431م إيفيسوس: خلاف كنسي - فلسفي حول موقع مريم البتول من التثليث، وفيه انفصلت الكنيسة الآشورية الشرقية.

451م خلقونية: الخلاف حول ماهية المسيح عليه السلام، **الطبيعة المزدوجة**، وفيه انفصلت الكنائس الشرقية القديمة.

529م أروسيو (أورانج حاليا في فرنسا): مواجهة محلية لرافضي أطروحة **الخطيئة الموروثة** (حركة البوجوميليون منذ مطلع القرن 5م).

553م قسطنطينية الثاني: تجدد الخلاف حول ما سبق تثبيته تحت عنوان **الطبيعة المزدوجة** للمسيح عليه السلام.

589م طلياطلة الكاثوليكي: تعديلات لإضافة الروح القدس لأطروحة التثليث، انفصلت بعدها

النزاع الأريوسي

يُنسب إلى الأسقف أريوس - Arius (ت 336م) من الاسكندرية، وكان من أشهر معارضي التثليث في تلك الحقبة، وشمل ذلك أنه ومن ساروا على نهجه عارضوا فرضيات لوجوس أيضا، ودخل أريوس في خلاف شديد حول ذلك في المؤتمرات الكنسية الأولى في الاسكندرية، وتعاقد على رئاسة أسقفيتها مع خصمه أثينايسيوس، واستمر هذا النزاع سنتين سنة، وأصبح للأريوسيين النفوذ الأكبر خلال ذلك في الأسقفيات الخمس القائمة آنذاك، لا سيما في روما والقسطنطينية والاسكندرية، إلى أن قُضي على نفوذهم بالتعاون بين الكنيسة والأباطرة الرومان بعد قسطنطين الأول.

مجمع نيقية المسكوني

تزامن وصول قسطنطين الأول إلى السلطة مع بلوغ النزاع الأريوسي ذروته، وانتشار التوترات بسببه في مناطق عديدة من الأراضي الخاضعة لامبراطوريته، وكانت النزاعات على السلطة قائمة في روما أيضا، فدعا إلى مؤتمر للأساقفة الكنسيين، انعقد في نيقية بتركيا عام 325م، وحضره طرفا النزاع، وانتهى بتبني أطروحات التثليث ورفض أطروحات الأريوسيين، ولكنه عاد بعد المؤتمر إلى التقاهم معهم، فاستعادوا نفوذهم، واستمر النزاع إلى ما بعد وفاته، حتى عام 381م.

الطبيعة المزدوجة

ظهرت محاور عديدة في أقوال الفلاسفة الكنسيين والكنائس حول ماهية المسيح عليه السلام ابتداء من القرن 2م، ما بين القول ببشريته المطلقة مخلوقا، والقول بتأليهه بصورة مطلقة في إطار التثليث أقنوما. واستمرت مسيرة النزاعات حول ذلك حتى مجمع خلقونية المسكوني 451م، الذي تبني ما كتبه الفيلسوف الكنسي أوجستينوس بشأن الطبيعة المزدوجة، دون حسم الخلافات نهائيا. وتقول هذه الفرضية التي أصبحت إملاء عقديا/ دوجما، إن للمسيح طبيعة لاهوتية/ إلهية، وطبيعة ناسوتية/ بشرية، لا تنفصلان عن بعضهما ولا تندمجان.

الخطيئة الموروثة والمخلص

أصل كلمة المخلص بالإغريقية: christos، وهي بدورها ترجمة غير دقيقة لكلمة moschiach أو maschiach بالعبرانية بالمعاني التي وردت بها في التوراة. يُقصد بالمخلص مسيحيا: المخلص من الخطيئة الموروثة. ويعود الاعتقاد بالخطيئة الموروثة إلى بولص، الذي تذكر كتب العهد الجديد قوله إن آدم عليه السلام أخطأ فورثت ذريته الخطيئة أو ارتكاب الخطيئة وانقطع ما بينها وبين الإله، وإن المسيح عليه السلام، الأشبه بآدم ولادة، يخلص البشرية من الخطيئة الموروثة، وتختلف الكنائس المتعددة في التفاصيل.

البوجوميليون

البوجوميليون أو البوجوميل طائفة مسيحية انبثقت عن المسيحيين الأوائل في أوروبا، ونسبتها الكنيسة الكاثوليكية إلى القسيس بوجوميل، وكان من أصل بلغاري - من أهل البلاد الأصليين المهاجرين إلى البلقان من منطقة القوقاز والقوقاز في الشرق - ورفض مع أتباعه ما سبق أن قرّره الكنيسة والمجامع المسكونية، مثل تقديس الصليب والمراتب الكنسية كالأسقف والقسيس، وغير ذلك. اعتبرت الكنيستان الكاثوليكية والأورثوذكسية البوجوموليين من الهرطقة، وتعرضوا لملاحقة شديدة، ولكن كثيرا منهم استطاع النجاة من خلال الاعتصام بالمناطق الجبلية فيما أصبح يُعرف بألبانيا والبوسنة والهرسك، وكانوا من أوائل من اعتنق الإسلام لاحقا. وتركت تعاليم بوجوميل أثارها التي انعكست عند طوائف أخرى عديدة في أوروبا اتُهمت بالهرطقة أيضا، مثل الأبيجيين أو طائفة الطاهرين.

الكنيستات الكاثوليكية والأورثوذكسية عن بعضهما بعضا.

ت- في القرون التالية، خلافات وتعديلات حول محاور أخرى في مسألة التثليث، تناولها بعض ما انعقد من مجامع مسكونية جامعة ومحلية:

- 680م/ 60هـ القسطنطينية الثالث: إدانة أحد البابوات لتساهله تجاه من قال إن للمسيح عليه السلام طبيعتين ومشيئة واحدة، وفيه انفصلت الكنيسة المارونية.

- 754م/ 136هـ نيقية الثاني: مختلف عليه بين الكنائس.

- 787م/ 170هـ نيقية الثاني: آخر المجمع السبعة المتفق عليها بين الكنائس.

- 851م/ 236هـ مجمع القسطنطينية الرابع: حول خلافات أخرى.

- 879م/ 265هـ مجمع القسطنطينية الخامس: نقض ما أخذ به المجمع السابق.

- 1215م/ 611هـ مجمع لاتيران الرابع: آخر مجمع مسكوني لترسيخ التثليث وفق ما استقرّ عليه لدى الكنيسة الكاثوليكية الرومية.

التسلسل التاريخي لمضمون التثليث

1- كان أول من استخدم كلمة ثلاثية **trias** الإغريقية أثينا جوراس - **Athenagoras** (ت حوالي 200م) في رسالة توصف ككثير سواها في تلك الفترة برسائل **المرافعة** - بالمعنى المعروف عن المحامين في المحاكمات - عن المسيحية، وكانت تُرسل في الدرجة الأولى إلى السلطات الوثنية الرومانية، مقابل ما بدأ يتردد في أوساطها عن انتشار المسيحية في الأراضي التابعة لها، وجاء في رسالة أثينا جوراس:

((هم - أي المسيحيون - يعرفون الإله ولوجوس الإله، ويعلمون ما تعنيه وحدة الابن والأب، وماهية الارتباط بين الأب والابن، وماهية وحدة الثلاثية، الروح القدس والابن والأب، والفارق بينهم في اتحادهم))⁽⁶⁾.

وكانت الوثنية الرومانية، كالإغريقية والفرعونية، تعرف تصورات عديدة عن تعدد الآلهة وعن وجود علاقات بين

بعضها بعضا، بما في ذلك تحت

عنوان الأبوة والبنوة والزوجية

وغيرها، ممّا يمكن وصفه

بالتثليث الوثني.

2- أول من استخدم بعد عدّة

عقود - كلمة الثلاثية التوحيدية - **trinitas** المركبة من كلمتين رومانيتين، ثلاثة ووحدة، كان تيرتوليانوس -

Tertullianus (ت 230م)، وهو الذي استخدم أيضا كلمة **persona** التي كانت تُطلق في المسرح الإغريقي

على قناع يرتديه أحد الممثلين عندما يقوم بدور آخر في العرض المسرحي نفسه، وله مواصفات أخرى مثل تقوية

الصدى، وتجنّبت الكنيسة هذه الكلمة لاحقا لتجنّب الخلط بينها وبين كلمة **person** التي تعني الشخص

(البشري). ويُعتبر تيرتوليانوس في التاريخ الكنسي الكاثوليكي - مثل أثينا جوراس - من الآباء الكنسيين الأوائل،

والمستند الأول في صياغة التثليث الكنسي، وله كتابات عديدة ضدّ من رفض التثليث آنذاك. بينما تعتبره

الأورثوذكسية بداية انحرافٍ تابعه آخرون من بعده وأدّى إلى القطيعة مع الكاثوليكية لاحقا. وكان قد تزعم

التثليث الوثني

عرفت وثنيات الفراعنة والإغريق والرومان تصورات عن الآلهة قام كثير من أساطيرها على علاقات الزوجية والبنوة، واشتهرت من ذلك أساطير الإلياذة وهرقل وغيرها، ولا تنطبق هذه التصورات على أطروحة التثليث كما تبنّتها الكنائس المسيحية، والتي تنطلق من فكرة الأقانيم الثلاثة الموحدة والمنفصلة في وقت واحد.

لسنوات عديدة مذهب طائفة من طوائف مونتانية **montanis** زعمت امتلاكها لكتابات من الروح القدس، واعتبرتها الكنيسة لاحقاً من الهرطقة/ المتهمين بالكفر.

3- المحطة التالية والحاسمة في أطروحات التثليث التي تبنتها المجامع المسكونية الكنسية لاحقاً، هي أطروحات أوجستينوس - **Augustinus** (ت 354م) ويُصنّف بأنّه في المقدّمة بين الفلاسفة ورجال الدين الذين أثاروا على الكنيسة وعلى التاريخ الفلسفي والفكري في الغرب عموماً. وله أطروحات عديدة، منها في مجال التثليث في 15 كتاباً، وكان أول من ثبت للكنيسة اعتبار **التثليث في وحدة والوحدة في التثليث**، وثبت **الطبيعة المزدوجة** التي تعني أنّ المسيح كان إنساناً وإلهاً في آن واحد، وهي الصيغة التي أدخلها المجمع الكنسي الخلقوني (451م) في

التعاليم الأساسية للكنيسة الكاثوليكية، وإليه أيضاً تعود الصيغة القائلة **إنّ الروح القدس انبثق من الأب والابن معاً**، والتي سببت لاحقاً الانفصال بين الكنيستين الشرقية والغربية بعد مجمع طليطلة المسكوني الكاثوليكي (589م).

الروح القدس

لم تُثبت نصوص كنسية في صيغة قوانين الإيمان نصّاً مفصلاً أو قاطعاً حول الروح القدس في الفترة الأولى من النزاع الطويل حول ماهية المسيح عليه السلام، وقد اقترن به نزاع آخر حول ماهية الروح القدس، فجرت محاولات عديدة أيضاً لتثبيت صيغة له في قوانين الإيمان، وكانت النقطة الأساسية في مجمع طليطلة المسكوني الكاثوليكي 589م، فكان من نتائجه صيغة تقول ((وأومن بالروح القدس الربّ والمحّي، المنبثق من الأب والابن، المسجود له، والممجد مع الأب والابن معاً، الناطق بالأنبياء))، وكان فيها إضافة **الابن** لنص سابق، وأدت الإضافة إلى اكتمال انفصال الكنيستين الأورثوذكسية والكاثوليكية.

الأقانيم

لغويًا: يقول لسان العرب إنّ كلمة الأقانيم تعني **الأصول**، وينقل قول صاحب الصحاح الجوهري (ت 400هـ/ 1009م) إنّه يحسبها روميّة. اصطلاحياً: هي ترجمة كلمة Hypostase الإغريقية، وورد في كتاب "علم اللاهوت النظامي" المذكور في الهامش أنّها ((كلمة سريانية معناها "الذات المتميّزة غير المنفصلة" وهي باليونانية "هيبوستاسيس" وهي تحمل المعنى الحقيقي للتمايز بين أقانيم اللاهوت، وهي الاصطلاح الذي يطلق على كل من الأب والابن والروح القدس)). وكانت تُستخدم كلمة Persona وتعني في الأصل قناعاً استخدمه الممثل في المسرح الإغريقي ليقوم بأكثر من دور، ثم تقرر كنسياً استخدام كلمة Hypostase. وورد في كتاب "علم اللاهوت النظامي" أيضاً ((يعلمنا الكتاب المقدس أنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم، لكلٍ منهم صفات اللاهوت، حتى وجب اعتبارهم إلهاً واحداً في الجوهر لا ثلاثة آلهة... فأقانيم اللاهوت هي في جوهر واحد فرد، لا في جوهر واحد نوعي. فالنعدّ الأفتومي في اللاهوت لا يلحق الجوهر، بخلاف التعدّد الأفتومي في البشر، لأنّه في البشر يقوم بتعدّد الجوهر والأقنوم معاً. فكلّ من الأب والابن والروح القدس هو باعتبار أفتومه في الذات الواحدة، ولكلٍ منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا انقسام ولا انفصال)).

يمكن القول بإيجاز، إنّ الثابت اعتماداً على المصادر الكنسية والتاريخية الغربية هو أنّ أطروحة التثليث انبثقت من ربط طرح التعاليم المسيحية بأطروحات فلسفية، واعتمدت نظرية **الأقانيم** الثلاثة، وظهرت لأول مرة حوالي عام 250م، فما سبقها كان مقدّمات فحسب، وما تلاها كان نزاعاً شديداً الحدّة حتى عام

381م، ثمّ أقلّ حدّة ولكن دون انقطاع أو حسم نهائي حتى عام 879م، ثمّ كان استقرارها عبر الكنائس الكبيرة، واتخذ النزاع حولها شكل القضاء على الراضين وجماعاتهم بالقوّة، وما تزال توجد إلى الوقت الحاضر كنائس وجماعات مسيحية عديدة لا تقبل بالصيغ التي تبنتها الكنائس الكبيرة، التي كان تعدّدّها أو انفصالها عن بعضها بعضاً نتيجة مباشرة للنزاعات حول التثليث وتفصيله في الدرجة الأولى.

وهذا المجرى التاريخي هو ما يعبر عنه من موقع الاقتناع بصحّته ومحاولة شرحه، المطران كيرلس سليم سترس، بقوله ((لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المجامع المسكونية لم تُدخّل شيئاً جديداً على إيمان المسيح والرسول كما ورد في

أسفار العهد الجديد. إلا أنّها عبّرت عن هذا الإيمان بطُرُق جديدة. فبينما اقتصر العهد الجديد على إظهار يسوع يتصرّف في حياته كإنسان وإله، أوضحت المجامع المسكونية كيف يتّحد العنصران الإنساني والإلهي في شخص يسوع الواحد، فأدخلت في العقائد الإيمانية ألفاظاً فلسفية استقتّها من الفلسفة اليونانية السائدة آنذاك، كالأقنوم والشخص والطبيعة والجوهر، وقالت إنّ المسيح هو شخص واحد في طبيعتين، طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية⁽⁷⁾.

ثالثاً: محطات ترسيخ التثليث

مسيحيون أم نصارى؟

"لوجوس" نموذجاً للجانب الفلسفي

لا انفصال ولا اندماج

سيدنا المسيح عليه السلام

مسيحيون أم نصارى؟

تظهر من وقت إلى آخر أصوات تنتقد كتابات ذات منطلق إسلامي تحرص على استخدام كلمة نصارى وتتجنب كلمة مسيحيين، لأنّ الأولى هي التي وردت دون الأخرى في القرآن الكريم، ومن ذلك: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾- 82 المائدة- ومواضع أخرى. ويوجد من المسيحيين من يتأذى من ذلك، ومثاله قول الكاتب المسيحي صفاء جميل بهنان:

((وبكلّ ثقة واطمئنان، أقول إنّ هذه التسمية "النصاري" ليست لها أية صلة بوجودنا وإيماننا ويجب رفضها قطعاً. والذي يطلقها علينا، يستوجب منا تعليمه بعدم عائديتها إلينا لا من قريب ولا من بعيد، وكفى القول "إننا مسيحيون" وهو الاسم الحسن الذي نحافظ عليه إلى الأبد لصفائه وخصوصيته لنا فقط. وإن قيل إنّها نسبة إلى "يسوع الناصري"، فهذا خطأ أشنع من سابقه حتى وإن كان -وللأسف- يُرَدَّدُ في طقوسنا يوم السعانيين "قوموا يا جميع النصارى...". فالمنبع الصحيح أسمى من الموروث الخاطيء. فنحن مثلاً، قره قوشيين نسبة إلى قره قوش، وغلطيون نسبة إلى غلاطية، وإن قيل لنا ناصريون (نسبة!) إلى يسوع الناصرة من الناصرة، فنقبل بذلك للمجاملة))⁽⁸⁾.

ويفيد توضيح هذه المسألة الفرعية في أوساط المسلمين والمسيحيين في إطار الحديث عن مسألة التثليث التي تتطوي على تأليه المسيح عليه السلام:

1- لفظة مسيحيين في الدائرة المعرفية الإسلامية، اكتسبت مع الزمن منزلة المصطلح، لتكون تسمية لفئة معروفة من الناس عبر هذه التسمية، فاستخدامها من جانب المسلم لا يتناقض مع عقيدته، ما دام لا يعني باستخدامها إقراراً أحدٍ على تأليه المسيح وعبادته، ولا يعني ذلك نفي إعطاء الأولوية للمصطلح الأرسخ عبر القرآن الكريم، إنّما يبقى الموضوع مقتصرًا على استخدام مصطلحات، وليس على جانب عقدي يُخشى منه. وقد يكون استخدام كلمة المسيحيين في حالات معينة هو الأولى إذا ما كان تجنّبها أو رفضها يثير التباساً عند الطرف الآخر دون توافر فرصة لبيان المقصود، مع الحفاظ على حق الاعتقاد دون إكراه.

2- بعض الكتابات التي تربط استخدام الكلمة بشبهة الإقرار بتأليه المسيح عليه السلام، أو التي تعبّر عن انزعاج بعض المسيحيين بمنظور معاكس، لا تراعي حقيقة أنّ القول إنّ المسيحيين يؤلّهون المسيح ويعبدونه لا يمثل اتهاماً ما، إنّما هو وصف حالة قائمة وفق أقوال سائر من يقولون بالتثليث من المسيحيين، فالتثليث يعني أنّ المسيح عليه السلام هو أحد أقانيم ثلاثة وأنّ لثلاثتها صفة الألوهية أفراداً وجمعاً.

3- إنَّ استخدام لفظة **الناصرين** نسبة إلى الناصرة أو إلى عيسى الناصري، منتشر في الأناجيل، وهي لغويا ما تعنيه كلمة النصارى، أمّا لفظة المسيحيين فواردة في "سفر أعمال الرسل" ((وفي أنطاكية أولاً دُعي التلاميذ مسيحيين))، وكلمة أولاً تفيد أنّ ذلك لم يكن من قبل، بل كان بعد انتشار المسيحية ووصولها إلى أنطاكية، وتقول موسوعة ويكيبيديا بهذا الصدد ((المسيحيون المشردون بسبب ملاحقتهم، نزلوا في أنطاكية، حيث أُطلق عليهم لأول مرة اسم المسيحيين، وكان ذلك من جانب أعدائهم، ففي الأصل كان نعت الاستهزاء والسخرية))⁽⁹⁾. إنَّ ذكر هذه المسألة في هذا الموضع ينطوي على الإشارة إلى ما هو أوثق صلة بموضوع البحث، وهو أنّ تلك المرحلة الأولى الموصوفة بمرحلة المسيحيين الأوائل، والتي امتدّت زهاء 150 عاما، لم تشهد جدالا خلافيا حول ماهية المسيح عليه السلام، ناهيك عن مسألة التثليث، وكأنّ في السخرية من جانب الوثنيين المعتادين على الفلسفة الإغريقية والرومانية المندمجة بعبادة آلهة متعدّدة، ما ينطوي على معنى اتّهام المسيحيين الأوائل في أنطاكية بعبادة المسيح، بمعنى اتّهامهم بما لا يصنعون، على غرار محاولة اتّهام المسلمين بعبادة محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق إطلاق وصف "محمديين" في تسميتهم لعقود عديدة خلال القرن الميلادي العشرين في أوروبا.

"لوجوس" نموذجا للجانب الفلسفي

لوجوس - Logos
لغويا: معاني متعدّدة، العقل والعلم والنطق واللغة والمبدأ والمطلق والجوهر. فلسفيا: استخدم التعبير استخدامات شتى، منها رمز للألوهية، وأصبح كلمة محورية عبر مختلف الفلسفات الغربية، بما فيها الكنسية.
فلسفة لوجوس: منذ العهد الإغريقي الفلسفي لم ينقطع استخدام الكلمة لأغراضٍ محورها الرئيسي ما يمسّ تفسير الألوهية وما يُسمّى الأديان الطبيعية، تفسيراً فلسفياً، كما أصبحت من مداخل بعض الفلاسفة المحدثين لطرح رؤاهم حول الإسلام أيضاً.
ومن التصورات الفلسفية عن الألوهية أنّها قوّة خارقة، والأصل المطلق للموجودات، والسبب الأول في سلسلة فرضيات السببية، وما شابه ذلك. ويُطلق وصف الأديان الطبيعية في الفلسفة الغربية على تصورات بشرية تقول بوجود إله أو آلهة دون الاعتماد على رسالة الوحي. وتختلف التفاصيل حول الصلة بين الآلهة والبشر.

كلمة **لوجوس** إغريقية الأصل، متعدّدة المعاني في الفلسفة الإغريقية، مثل العقل، والجوهر، والكلمة، واللغة، والمبدأ، والعلم، والمنطلق. وترافق هذه الكلمة الفلسفة الغربية منذ ذلك الوقت قبل حوالي 2400 سنة إلى الوقت الحاضر، كما تشير -على

سبيل المثال- حماسة الفيلسوف العلماني محمد أركون لها وإلتحامها في دائرتنا المعرفية مع سواها، وتوظيفها في تفكيك النصّ القرآني⁽¹⁰⁾، وقد يظهر من الفقرات التالية ما يعنيه مثل هذا الموقف الفلسفي من خلال النظر في استخدام هذه الكلمة مع بداية النزاعات الكنسية حول التثليث.

السؤال المطروح هنا هو عن موقع هذه الكلمة في توجيه العلاقة بين الفلسفة والكنيسة، عبر دورها في مسألة التثليث نموذجا، ونجد:

1- هيرقليطس.. بداية الطريق:

كان أول من طرح كلمة لوجوس فلسفيا هيرقليطس - Herakleitos (ت 480 ق.م) من العصر الإغريقي، وقد اعتبر لوجوس أساس الوجود، ويقوم على وحدة المتناقضات، وتخضع له الآلهة. وفي فلسفته حول نقص العقل الشخصي وكمال العقل الكوني الشامل، تصوّر أنّ الكون تحيط به نار أبدية، وأنّ كلّ شيء فيه في تحوّل دائم،

ولوجوس هو الثابت فيه فقط. ووصف أفلاطون لوجوس فلسفياً بأنه **روح العالم**، واقتصر في الغرض منه على عنصر العرض والتوضيح، بينما كان لدى أرسطو طريق البرهان والاستنتاج من بين ثلاث طرق للمعرفة.

روح العالم

أناكساجوراس الإغريقي كان أول من استخدم تعبير **Nous** الإغريقي بمعنى روح العالم، لتفسير نشأة الوجود، فقال إنَّ روح العالم أوجدته من عناصر عديدة جداً ومتناهية في الصغر بمواصفات مختلفة عن بعضها بعضاً. وقد وُجد من يستخدم تعبير روح العالم بهذا المعنى أيضاً حتى العصر الحديث في المسيرة الفلسفية الغربية، مثل هيجل. وروح العالم مثل كلمتي لوجوس وإيبيرون من الصيغ العديدة التي ترمز إلى تصوّرات فلسفية عن الألوهية، أتها قوّة خارقة، والأصل المطلق للموجودات، والسبب الأول في سلسلة فرضيات السببية، وما شابه ذلك.

ورأى الفلاسفة الرواقيون في لوجوس المبدأ العقليّ الأول والمنطلق إلى كلّ ما سواه في الكون، ومنهم كليانثيس - **Kleanthes** (ت 251 ق.م)، الذي يوصف بأنه كان يعتبر الإله تارة هو العالم، وأخرى روح

العالم، وثالثة النار الكبرى المحيطة بالكون، وهكذا، كما كان يرى في زيوس، كبير آلهة الإغريق، روح العالم وعقله⁽¹¹⁾.

2- فيلون.. المدخل إلى الكنيسة:

بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وقبل انتشار المسيحية، كانت الأطروحة الفلسفية الأولى التي أوردت كلمة **لوجوس** وجمعت الديني والفلسفي في مقولات مشتركة، هي ما طرحه في الاسكندرية الفيلسوف اليهودي **فيلون** - **Philon** (توفي 40م)، ويوصف بأنه تأثر بالفلسفة الأفلاطونية والرواقية، والقليل من الأفلاطونية الجديدة والأرسطوطالية، ووضع أطروحته بهدف الجمع بين الفلسفة الإغريقية والتعاليم اليهودية، ولكنّ فرضيته حول لوجوس وكذلك ما قال به في اتجاه التثليث لم يجد من يأخذ به بين حاخامات اليهود، بينما لم ينقطع الرجوع إليه من جانب الآباء الكنسيين خلال القرون التالية⁽¹²⁾.

3- الآباء الكنسيون.. ولوجوس:

من بين الآباء الكنسيين الذين استندوا إلى فرضية لوجوس في أطروحاتهم الفلسفية - ومنهم من نقل أطروحات فيلون على وجه التخصيص - كلّ من جوستينوس - **Justinos** (ت حوالي 165م) من مواليد فلسطين مات في روما، وإرينويس - **Irenäus** (ت 202م) من مواليد تركيا على الأرجح مات في ليون، وكليمنس - **Clemens** (ت 215م) من أثينا مات في الاسكندرية، وتلميذه أوريجينيس - **Origenes** (ت 254م) من الاسكندرية، وأويسيبوس - **Eusebius** (ت 340م) من فلسطين، وأثناسيوس - **Athanasius** (ت 373م) من الاسكندرية، ثمّ أوجستينوس - **Augustinus** (ت 453م) من الجزائر، وغيرهم.

وأكثر من كتب منهم عن لوجوس في أطروحته الفلسفية-الكنسية أوريجينيس وأثناسيوس، وكان الأخير أشهر طرفي ما سمّي النزاع الأريوسي نسبة إلى أريوس - **Arius** (ت 336م) من الاسكندرية، وهو الطرف الآخر في هذا النزاع ومن أشهر معارضي التثليث في تلك الحقبة، وكان هو ومن ساروا على نهجه يعارضون فرضيات لوجوس أيضاً.

كلّ من كتب من هؤلاء وسواهم عن لوجوس كانت كتابته فلسفية بمنطلقاتها والطرق المتبعة فيها من أجل توطين الكلمة في التعاليم الكنسية. ويتبيّن ما يعنيه اعتماد كلمة لوجوس في هذا الاندماج الفلسفي الكنسي، عبر النظر فيما قال به بعض من أدخلوها في الفلسفة الكنسية:

أ- من أوائلهم جوستينوس القائل:

((إنَّ التعاليم المسيحية أُسمى من سائر التعاليم سواها، لأنَّ اللوجوس الإلهي أصبح إنسانا في المسيح... نعلم ممَّا نقدّر قيمته أنّه هو وليد أبّ الجميع، وأنّه الذي وُلد منه بصورة متميّزة أصبح هو اللوجوس والقوّة، وأنّه أصبح من بعد إنسانا عن طريق العذراء))⁽¹³⁾.

ب- ومن أنشطهم أوريجينيس القائل:

((الإله روح لا يمكن إدراكها وراء الوجود والكينونة، للذين يصيران (بوجدان.. ينشأن) عن طريق لوجوس

الخالق)).

نخبة الأسرار الدينية (Gnosis)

الأصحّ إطلاق وصف الظاهرة بدلا من جماعة دينية -كما يرد في المصادر الغربية- عن الفئات والأفراد الذين يُذكرون تحت عنوان Gnosis أو Gnosticism، ونعرّب الكلمة إلى نخبة الأسرار الدينية، وفق المقصود بمفهومها، وإن كان المعنى اللغوي المجرد لأصلها الإغريقي هو العلم أو المعرفة.

يتميّز من ينتسبون إلى هذه الظاهرة بقولهم إنهم يطّلعون فلسفيا على الأسرار الدينية، وقد انتشرت في الحقبة الأولى للزرادشتية (حوالي 600 ق.م) والمانوية (انظر شرحها لاحقا)، وتركت آثارها في القرنين 2 و3م على الفلسفة الكنسية.

في المنطقة الحضارية الإسلامية يُطلق هذا الوصف في الكتابات الغربية على بعض الطوائف كالدرزية واليزيدية، كما يُطلق حديثا على جماعات وطوائف تعتبر نفسها مسيحية مثل المورون، وكذلك على فلاسفة يبحثون في الأديان مثل رودولف شتاينر.

في حقبة نشأة الفلسفة الكنسية كان المعارضون لأطروحات الأورثوذكس والكاثوليك في ميدان التثليث يُتهمون بتبني أفكار من خارج المسيحية، مثل أفكار نخبة الأسرار الدينية، ويسري هذا الاتهام على بعض من لم تتّهمهم الكنيسة بالهرطقة، مثل أوريجينيس، وإن أسقطت بعض أطروحاته بعد وفاته بحوالي قرنين من الزمن.

وقد انطلق أوريجينيس من أفكار الفيلسوف اليهودي فيلون وأفكار من يوصفون بنخبة الأسرار الدينية (Gnosis)، واتّبع أسلوب استخراج المعنى الذي ترمز النصوص إليه، دون الاكتفاء بالمعنى المباشر. وفي نظريته حول لوجوس أبرز بشريّة المسيح عليه السلام معتبرا الأب هو لوجوس رقم 1، الأكبر من المسيح الذي اعتبره لوجوس رقم 2، وقد اعتمد على أقواله طرفا النزاع الأريوسي

الذي استمرّ عشرات السنين ولم تنقطع آثاره من بعد. واعتبر أوريجينيس لوجوس -مثل أفلاطون- روح العالم، فيه تثبت الإله قدرته، ومنه انبثق الروح القدس الخلاق، ومن بعض ردود فعله كان الخلائق العاقلون. وبقيت أطروحات أوريجينيس موضع قبول عند الكنائس رغم الخلاف على بعضها في القرن 4م أثناء النزاعات الدائرة حول التثليث، ثم رفض أجزاء منها في مجمع القسطنطينية الثاني 553م⁽¹⁴⁾.

ت- ومن أشهرهم أثينا جوراس القائل:

((لوجوس الإله هو الابن، هو الفكرة المثلّ والقوّة الخالقة، فعن جوهره وعبره انبثق كلّ شيء، الأب والابن واحد، لأنّه عن طريق الوحدة وقوّة الروح كان الابن في الأب والأب في الابن، وهكذا فابن الإله هو مغزى الأب ولوجوس الأب))⁽¹⁵⁾.

أمّا المنظور الفلسفي الغربي الحديث فمن الأمثلة عليه ما يعبر عنه رودولف شتاينر - Rudolf Steiner (ت 1925م/ 1343هـ)، وهو مؤسس ما سمّي الحكمة الإنسانية - Anthroposophy، وفيلسوف نمساوي معروف بنقده للأديان عموما وللكنيسة على وجه التخصيص.. ويقول متحدّثا عن حصيلة استخدام لوجوس في الفلسفة الكنسية:

((المسيح بالنسبة إليهم هو لوجوس. بهذه الصفة هو ذو صفة روحية، لا يمكن أن يتوجّه إلى الإنسان وهو في جوهره الأصلي، بل يجب أن يتمّ إحيائه في النفس، والمفروض أن يكون لعيسى التاريخي علاقة مع لوجوس الروحي. ذلك ما كان يمثل السؤال الروحي الاستشراقي، ثم سيان ما يختار كلّ طرف للجواب، الأمر الأساسي

يبقى هو عدم الاكتفاء بالمنقول تاريخيا، والاعتماد على الحكمة الأسطورية، أو على المصادر ذاتها التي ازدهرت بها الأفلاطونية الجديدة لعدّة قرون، للوصول إلى فهم صحيح لفكرة المسيح... يستطيع أن يكون حاضرا بدرجات مختلفة في الإنسان، إذن باستطاعة مؤسسة بشرية أن تجعله واقعا قائما، ومثل هذه "الكنيسة" هي لوجوس الحقيقي المحسوس، والقوة التي تعيش

الحكمة الإنسانية

حكمة الإنسان أو الحكمة الإنسانية/ Anthroposophy نهج للبحث في طلب المعرفة، أسسه رودولف شتاينر مرتكزا على كتابات سابقة منذ مطلع النهضة الأوروبية في الاتجاه نفسه، ويستند إلى الطاقة الذاتية للإدراك مع تجاوز طرق طلب المعرفة عقلا أو عبر الحواس. وتتضمن رؤية شتاينر لذلك ما يعتبره تحرر الإنسان من أي وصاية، بما في ذلك الوصاية الدينية، "ليصل بنفسه إلى عالم ما وراء الحواس".

تجسيد الإله / Incarnation

تتطوي لفظة Incarnation على كلمة caro أو caris التي تعني في اللاتينية: اللحم، والمقصود اصطلاحيا فيما يقوله الفلاسفة الكنسيون تحوّل الإله الروحي إلى جسد بشري. وسبق انتشار أطروحات عديدة عن ظهور الآلهة في صورة بشر، مثل التصورات الهندوسية عن شيفا، أو الأساطير الإغريقية عن الآلهة كما في الأوديسة لهومر، إنما اقتصر ذلك على تصوّر تقمّص الآلهة صورة إنسان، فلم يحمل التجسيد آنذاك معنى التحوّل الفعلي إلى إنسان، كما في الأطروحات الكنسية عن المسيح عليه السلام، وهي صيغة عارضها الأريوسيون وسواهم قبل استقرار الكنائس الرئيسية عليها، وتعارضها كنائس وجماعات مسيحية معاصرة، مثل شهود يهوذ.

فيها هي القوة التي تعيش في المسيح الذي تحوّل إلى لحم في عيسى (المقصود مقولة: تجسيد الإله). عن طريق عيسى إذن أصبحت الكنيسة متوحّدة مع الإله⁽¹⁶⁾.

مقابل ذلك يصعب القول إنّ المنطلق الأوّل كان من الأناجيل، ففيها جميعا لم ترد كلمة لوجوس إلا مرة واحدة، في إنجيل يوحنا، ووردت بمعنى الكلمة وصفا للمسيح عليه السلام، وأنّ الكلمة صارت الإله. ومما تذكره المصادر الغربية بشأن إنجيل يوحنا أنّه لا يتضمّن سوى إشارتين غامضتين بشأن نسبة كتابته إلى يوحنا- Johannes (ت حوالي 100م) نفسه، وكان أحد "الرسل" الاثني عشر، بينما ترجّح الدراسات التاريخية الغربية أنّ كتابة الإنجيل الذي حمل اسمه، كانت وفق محتوياتها جزئيا أو كليا بعد تاريخ وفاته، وفي سائر الأحوال لا يُستبعد احتمال استخدام كاتبه لكلمة لوجوس تأثرا بالفلسفة الإغريقية بعد ارتفاع عدد معتنقي المسيحية من غير اليهود.

إنّ كلمة لوجوس مثال نموذجي على مدى الاندماج الفلسفي-الإغريقي بالفلسفي-الكنسي، وتغلغل الرؤى الفلسفية الإغريقية، وليس المصطلحات فقط، في أطروحات التثليث، أهم أعمدة التعاليم الكنسية، حتى بات من العسير الفصل بين هذا وذاك، ومن هنا تظهر الخطورة الكامنة في دعوات مشبوهة كدعوة محمد أركون المشار إليها، وهو يربط بين مفهوم لوجوس وتفكيك النص القرآني، بدعوى إعادة تفسيره وفهمه.

لا انفصال ولا اندماج

كما هو الحال في الحديث عن توظيف كلمة لوجوس الفلسفية الإغريقية مدخلا إلى أطروحات فلسفية كنسية، فإنّ البحث في هذه الفقرة أيضا لا يتناول النصوص الواردة في كتب العهدين القديم والحديث، بل التأثير الفلسفي على الاتجاهات الفلسفية الناشئة كنسيا، مع ملاحظة أمرين متداخلين:

1- إنّ تثبيت النصوص المعترف بها كنسيا في تلك الكتب كان من نتائج ما أسفر عنه ظهور اتجاهات متعدّدة ونزاعاتها، ثم غلبة قسم منها واضمحلال أو ضعف قسم آخر، بغضّ النظر عن أسباب ذلك، وعن أثر قوّة السلطة بعد الاندماج الكنسي مع أجهزة الامبراطورية الرومانية.

2- بعد تثبيت تلك النصوص أصبحت بدورها هي المُعتمدة في الأطروحات التي طوّرت ما سبقها أو نشأت ابتداءً مع تعدّد الاتجاهات أيضا فأصبح فهمها أو تأويلها -وهنا يعود الدور الفلسفي إلى الظهور- **منطلقا إلى نزاعات جديدة وانشقاقات أو ولادة اتجاهات جديدة.**

والجدير بالذكر أنّ البيئة التاريخية التي شهدت ازدهار أطروحاتٍ رئيسية ذات علاقة بالتقليد، شملت على الصعيد الديني والفلسفي معا:

1- ما سبقت الإشارة إليه من توسّع انتشار المسيحية خارج فلسطين بين غير ذوي الأصل اليهودي، أي ممّن كان سابقا على الوثنيّة الرومانية أو الإغريقية مع ما يتّصل بذلك من خلفية فلسفية.

2- انتشار ما سبقت الإشارة إليه أيضا تحت عنوان **نخبة الأسرار الدينية / Gnosis**، ويضاف إليها انتشار ما

المانوية

المانوية ديانة فلسفية، نسبة إلى ماني - Manes (ت 276م) - إعداماً - وكان من الفرس الناشئين في أوساط المسيحيين من أصل يهودي، ويُرجّح كونه من قبل من طائفة جمعت بين تطبيق التعاليم المسيحية واليهودية. وتقول موسوعة ويكيبيديا عن المانوية، "تعاليم ماني هي تعاليم الطبيعيتين (أو المادتين أو الميدأين) والأزمان (أو العصور التاريخية) الثلاثة، فالطبعان هما النور الإلهي والظلمة المعادية له، والأزمان الثلاثة هي زمن انفصالهما، وزمن اختلاطهما لتحرير ما أسرته الظلمة من النور (المخلص)، وزمن انفصالهما ثانية بصورة نهائية باستعادة النور المأسور إلى النور الإلهي". وانتشرت المانوية خلال القرن 4م في مناطق عديدة من الامبراطورية الرومانية، ونافست المسيحية في كثير من المناطق الأوروبية، كما وصلت إلى الصين شرقا، حيث بلغت أوجها في القرن 8م/ 2هـ، وبقيت 6 قرون، وكان أبرز الفلاسفة الكنسيين أوجوستينوس مانويا من قبل.

عُرف **بالمأنويّة** على نطاق واسع، وكانت أيضا ذات تأثير ملحوظ في الأوساط المسيحية، بما في ذلك الآباء الكنسيون.

التواريخ المذكورة آنفا هي تواريخ انعقاد بعض المجمع المسكونية التي تناولت مسألة التقليد، ممّا يبيّن أنّ موضوعه بقي مطروحا زهاء ألف سنة، فلا يمكن استيفاء

البحث فيه بطبيعة الحال، إنّما يكفي للإحاطة المبسّطة بأهم معالم الاندماج الفلسفي الكنسي من خلاله أن نتوقف عند بعض العناصر التي تمثّل مكونات التقليد الأساسية.

سيدنا المسيح عليه السلام

السيدّ كلمة نستخدمها في دائرتنا المعرفية فنقول دون إشكالية عُقدية سيدنا المسيح، وسيدنا إبراهيم، مثلما نقول سيدنا محمد، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين. كذلك نقول عن مريم البتول إنّها سيّدة نساء العالمين تبعا لما ورد في القرآن الكريم حول اصطفاؤها عليهم، ونقول مع عمر بن الخطاب عن أبي بكر وبلال رضي الله عنهم "سيدنا وأعتق سيدنا".

ونستخدم أيضا كلمة ربّ في مثل ربّ الأسرة وربّ العمل وما شابه ذلك دون أن يتسرّب إلى نفس القارئ أو السامع تساؤل عن المقصود وما إذا كان له علاقة بالألوهية والربوبية عقيدةً ودينا. يختلف الأمر قليلا في استخدام بعض صيغ النسب، ففي مثل ابن القرية وابن المدينة أو أمّ الكتاب وأمّ القضايا أو آباء الدستور يبقى واضحا أنّ المقصود هو النسب المعنوي، ورغم قابلية سريان ذلك من الناحية اللغوية المحضة على استخدام ألفاظ النسب مع لفظ الجلالة أيضا، لا يخفى أنّه يثير -إن وقع- السؤال التلقائي عن المقصود عقديا.

وتعرف اللغة العربية -كلمات أخرى- استخدام صيغة الجمع أو صيغة متميزة -مثل حضرتكم- من باب التكريم والتبجيل وإن كان المخاطب فردا، ودرج في المراسم الملكية أنّ صياغتها تنطوي على أسلوب مماثل في حديث الملك عن نفسه.

هذه الألفاظ وكذلك التمييز بين عبارات تستخدم صيغتي المفرد والجمع وردت في النصوص الإنجيلية المعتمدة كنسيا منذ القرن 4م، بعد أن كانت مادّة للبحث عند الآباء الكنسيين منذ القرن 2م، وأصبحت منذ ذلك الحين كلماتٍ محورية في الأطروحات الفلسفية الكنسية الأولى حول ماهية المسيح عليه السلام، والتي اعتمدت في الدرجة الأولى على البحث عن المقصود بالعبارات وليس على ظاهرها، ومضت فترة زمنية طويلة حتى كانت الخطوة الرئيسية الحاسمة عام 451م في تحديد نصّ يثبت ما استقرت عليه الرؤية الكنسية، وعلى وجه التحديد الكنيسة الكاثوليكية.

توضيحا لذلك نقف على سبيل المثال عند الكلمة الحاسمة، وهي كلمة ابن، وقفه قصيرة، فنجد:

أ- وردت الكلمة في الأناجيل بالمعاني المتعدّدة المعروفة في اللغة، مثل أبناء مصر..

ب- ووردت أيضا في صيغة أبناء الله عن عامّة البشر أو عامّة المسيحيين..

ت- جميع ذلك وأمثاله يمثّل صلة نسب معنوي بوضوح..

ث- ووردت أيضا في وصف المسيح عليه السلام بابن الإله..

أمّا التمييز في هذه الحالة الأخيرة، لاستنباط ألوهية المسيح، وبين الحالات السابقة لها حول البنية المعنوية، فنعود به مثلا إلى ما يذكره عدد من أشهر الأساقفة المعتمدين كنسيا، مثل بازيلوس - **Basilus** (ت 379م) رئيس أساقفة القيصرية الملقّب ببازيلوس الكبير، وكوريل - **Cyrril** (ت 386م) الأب الكنسي الأورثوذكسي من القدس، وجريجور - **Gregor** (ت 390م)، من نازيانس وأسقف ساسيما وكلاهما في تركيا، وأمبروسوس - **Ambrosius** (ت 397م) الأسقف والسياسي الروماني من ميلانو، وغيرهم من المعتمدين كنسيا، إذ كان في مقدّمة ما انطلقوا منه في مسألة المسيح عليه السلام، نصّ إنجيلي يقول "عمّدهم باسم الأب والابن والروح القدس"، إذ اعتبروا استخدام كلمة اسم بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع، دليلا على أنّ الأب والابن والروح المقدّس يشكّلون معا وحدة ألوهية، وأنهم على مستوى واحد. أمّا عميد الفلسفة المؤسساتية الكنسية وأشهر المنظرين للإملاءات الكنسية/ دوجما، أوجستينوس، فكان ممّا بنى عليه الانطلاق من المحبّة الأزلية الأبدية في الألوهية، فقال:

((إنّ المحبة لا تكون إلاّ بين طرفين، واعتبر ذلك دليلا على الألوهية الأزلية للابن مستندا إلى النصّ الإنجيلي "لأنّك أحببتني قبل خلق العالم"))⁽¹⁷⁾.

وشبيه ذلك من كتاب علم اللاهوت النظامي قول كاتبه:

((تُستعمل كلمة "ابن" في هذا المقام (يقصد: في مثل أبناء الله وأبناء مصر) دائماً في صيغة الجمع، سواءً كانت الإشارة بها إلى البشر أو الملائكة، فلم ترد في صيغة المفرد إلا للإشارة إلى الأفتوم الثاني من الثالوث (يقصد: المسيح عليه السلام)، ما عدا مرة واحدة في لوقا، حيث دُعي آدم -باعتباره رأس الجنس البشري- ابن الله، لأنّه مخلوق من الله مباشرةً بدون أن يكون له أب بشري))⁽¹⁸⁾.

الجدير بالملاحظة هنا أنّ التشابه المذكور حول غياب أب بشري بين آدم والمسيح، يقابله وجود تعليين مختلفين لاستخدام كلمة ابن، وبالتالي الوصول إلى نتيجتين متناقضتين تبعاً لذلك، فحسب التثليث، لا يوصف المسيح بالمخلوق كآدم، ولا يوصف آدم بالإله كالمسيح، عليهما السلام.

ونلقي نظرة استقصائية على أهمّ ما شهدته القرون الأربعة التالية التي عبرتها مراحل تثبيت الصياغة الحاسمة بشأن ماهية المسيح عليه السلام، وهي النقطة الجوهرية في مسألة التثليث، فنستخلص معالم كبرى لهذه المسيرة، ونوجزها غاية الإيجاز في السطور التالية، مع تصنيفها في ثلاثة أقسام:

1- القسم الأول: المنطلقات المسيحية قبل النزاعات الكنسية حول ماهية المسيح عليه السلام:

أ- يسوع الناصري:

كان هذا الوصف للمسيح عليه السلام هو الأوسع انتشاراً، وفي إطار التعريف به بهذا الوصف نجد: ((ولد على الأرجح بين عامي 7 و4 ق.م في الناصرة أو كفر ناعوم بفلسطين)) و((اعتبر نفسه مجدداً لليهودية، ولكن أصبح عن طريق أتباعه مؤسساً لديانة جديدة))، وما شابه ذلك في مصادر عديدة⁽¹⁹⁾.

ب- المسيح المخلص:

في حقبة المسيحيين الأوائل الذين كانت غالبيتهم من أصل يهودي، كان السائد عموماً اعتبار المسيح هو المخلص الموعود وفق التوراة. بل ((سواءً في الجماعة الأولى في القدس، أو في الجماعات المضافة إليها في المناطق المحيطة، كان توقّع عودة المسيح هو السائد، والذي رأى فيه أتباعه وفق التعاليم اليهودية المخلص. وجميع الجماعات الأولى كانت تعتبر نفسها جزءاً من اليهودية، وفق ما يظهره الأخذ بالقوانين الموسوية وخدمة الهيكل في القدس))⁽²⁰⁾.

2- القسم الثاني: الأطروحات المعتمدة كنسياً أو التي أوصلت إلى الصيغ المعتمدة كنسياً:

أ- النقلة الأولى باتجاه مقدّمات التثليث كانت في القرن 2م، وكانت حول موقع الابن:

((مع وفاة يوحنا حوالي عام 100م، انتهت مرحلة المسيحية الأولى، وكان يوحنا نفسه من أدخل كلمة لوجوس في التعاليم المسيحية، فمهد بذلك للمشكلات القادمة وكذلك للفلسفة الأفلاطونية بمرحلة تطورها الوسيطة، لتجد القبول في الأوساط العليا أيضاً. في فترة ما بعد "الرسل"، أي القرن 2م، والتي تدخل في حقبة الكنيسة القديمة، بدأ السؤال عن موقع الابن...))⁽²¹⁾.

ب- لوجوس الإله:

بمعنى عقل الإله.. قال بذلك أوريجينيس وآخرون (انظر الفقرة السابقة: لوجوس كنسياً).

أعالي حوض الفرات، وشغل منصب أسقف أنطاكية، واتخذت **فرضية التبني** هذه صيغا عديدة وكانت واسعة الانتشار⁽²⁶⁾.

ت- هو في منزلة بين الإله والإنسان.. قال بذلك الأريوسيون.

ث- هو إله في مظهر جسدي وليس في جسد حقيقي.. أو هو إنسان حلّ فيه الإله (النسطوريون)..

ويوجد تاريخيا المزيد، فمن العسير حصر الموضوع فضلا عن التفصيل فيه. والثابت على أيّ حال أنّ النزاع كان كبيرا وعميقا وطويل الأمد، وأنّ الانتقال من صيغة إلى صيغة لم يكن سهلا، لا سيّما وأنّ هذه الأطروحات وأمثالها انطلقت بغالبيتها العظمى من داخل الصفوف الكنسية، أي من جانب الأساقفة ومعلّمي الديانة، ومنهم من شارك في المجامع المسكونية التي ناقشت التثليث على أعلى مستويات المراتب الكنسية، ومنهم من لم يشارك فيها إنّما وجد مصيره فضلا عن الكنيسة وملاحقة أحيانا⁽²⁷⁾. كما توجد طوائف أخرى معاصرة ترفض تأليه المسيح في إطار رفض التثليث.

استكمالا للصورة ننظر في **تعليل** مجرى التّطوّرات حول ماهية المسيح عليه السلام **بمنظور من رسّخوا التثليث كنسيا، وبمنظور الباحثين الغربيين** من خارج النطاق الديني.

منظور التثليث الكنسي يمكن استخلاصه من مثال يعبر عنه أصحاب موقع شبكي يحمل عنوان **المتنصرون** إذ يشيرون إلى أنّ الأطروحات المثبتة كنسيا:

((..لم تتقرّر تماما عند جميع الكنائس المسيحية إلاّ بعد مباحث طويلة استمرت إلى نهاية القرن السادس. لأنّه قام في الكنيسة بعض من اللاهوتيين وذهبوا مذاهب ضلالٍ متنوّعة في شخص المسيح وتبعهم قوم على اختلاف مذاهبهم... غير أنه لما كان الشعب متمسكاً بتلك الحقائق الجوهرية أي أنّ اللاهوت والناسوت متحدان غير **ممتزجين** في شخصية واحدة كان اللاهوتيون مضطرين بالاعتراضات من خارج وبالميل إلى البحث من داخل أن يسألوا كيف يمكن أن تكون تلك الأمور أي أن يكون شخص واحد إلهاً وإنساناً معاً وأن يتحد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح. وكان في الأجوبة على هذه المسائل صعوبات ووقع في شأنها مشاجرات كثيرة ولأجل التخلص من ذلك أنكر البعض لاهوته وغيرهم ناسوته أو كمال الناسوت وغيرهم أفسدوا حقيقة الاتحاد ونتائج))⁽²⁸⁾.

أمّا **الباحثون الغربيون** المحدثون⁽²⁹⁾، الذين لا ينطلقون من إطار كنسي أو ديني عموما، فيعتمدون ما يرونه من أساليب البحث التاريخي العلمي، ويشيرون إلى أنّ المصادر التاريخية غير الكنسية لم تذكر المسيح عليه السلام إلاّ في عبارات معدودة عابرة، ثم لا يأخذون بما تقوله الكنائس عن مصادرها التاريخية من حيث ضمان صحتها ومصداقيتها، فيميّزون بشأن المسيح عليه السلام بين:

أ- ما ورد في الأسفار الإنجيلية **على لسانه** وصفا لذاته.

ب- ما ورد فيها من وصف له **على لسان** سواه بحضوره.

ت- ما ورد في الأسفار الأخرى من وصف له **بعد رفعه إلى السماء**.

وهي أمثلة على نقاط أخرى يستخلصون منها.. على سبيل المثال دون الحصر أيضا:

أ- لم يتحدّث المسيح عليه السلام عن نفسه مباشرة بغير صفة **ابن الإنسان** وما يُذكر فيما عدا ذلك يُذكر تأويلا واستنتاجا لإشارات قابلة للتفسير بأكثر من وجه.

- ب- ورد على لسانه "لم ير أحد الإله إطلاقاً" و"الإله لا يتحوّل من روح إلى جسد" وما شابه ذلك.
- ت- كلمة السيد/ الربّ استُخدمت مع المسيح عليه السلام تكريماً وتمجيداً بمعنى الرتبة العالية، وشمل ذلك موسى عليه السلام، والقضاة مثلاً من غير الأنبياء.
- ث- أخذت كلمة **Kyrios** في الترجمة الإغريقية للنصوص الإنجيلية معنى استوعبه الآباء الكنسيون الغربيون - مثل أمبروسيوس- وفق خلفيتهم الثقافية الذاتية المغايرة للخلفية الثقافية الإغريقية التي تميّز بها مَنْ كتب النصوص بالإغريقية، أي الآباء الكنسيون المشرقيون، إذ جعلوا الكلمة مرادفة لكلمة **Adoni** العبرانية، وهي كلمة مُستخدمة في التوراة بمعنى الإله.

خاتمة

تجنبًا للإطالة لم يشمل هذا البحث الخوض في الخلفيات السياسية التي رافقت ترسيخ مسألة التثليث فلسفيا في إطارها الكنسي، لا سيما وأن كثيرا مما يرتبط بالخلفيات السياسية كان موضع التفصيل في الكتابات بالعربية، بدءا بدور الامبراطور الروماني قسطنطين انتهاء بعهد الإقطاع والكنيسة الاستبدادي الذي أوصل إلى الثورات العلمانية في أوروبا.

وتكفي الإشارة المقتضبة هنا إلى مثال على ذلك، وهو أن قسطنطين وصل إلى السلطة بعد نزاعات سياسية دفعته للبحث عن سبل إعادة الاستقرار في امبراطوريته، ومن ذلك التخلّص من آثار النزاعات الكنسية حول الأريوسية فانحاز إلى دعاة التثليث في مجمع نيقية المسكوني 325م، ثم إلى خصومهم من الأريوسيين حتى أنه عندما اعتنق المسيحية بعد فترة عمّده أسقف أريوسي.

وانتهى أمر الأريوسية بعد سلسلة من عمليات الملاحقة والنفي والعزل ومصادرة الممتلكات، فنتبتت الدولة الرومانية والكنيسة الكاثوليكية عام 381م صيغة معدّلة لقانون الإيمان الكنسي من مجمع نيقية، ولم تقتصر النتيجة على توجيه لعنة الكنيسة للمعترضين، كما كان في نصّ الصيغة الأولى، فبعد تبني الامبراطورية الرومانية للمسيحية دينا رسميا، أصبح كلّ اعتراض على مضمون الصيغة الجديدة يهدّد صاحبه بالملاحقة والنفي وحتى الإعدام.

رغم ذلك لم تنقطع النزاعات طوال القرون التالية، بل واكبت تطوير الأطروحات الكنسية الفلسفية، وأصبحت قدرة التأثير على السلطة السياسية أو امتلاكها مباشرة وكذلك تأثير المجامع المسكونية للأساقفة، يتكاملان في تحليل اضطهاد الطرف الآخر، وكانت الإدانة الأكثر انتشارا هي الإدانة بالهرطقة، ووصلت إلى حقبة إعدام العلماء وإحراق النساء في أواخر القرون الوسيطة الأوروبية.

هوامش البحث :

- 1- موسوعة ويكيبيديا الشبكية، الإصدار الألمانية، مادة "المرافعة الكنسية" - Apologetik.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Apologetik>
 - 2- المصدر نفسه، مادة "الآباء الكنسيين" - Patristik.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Patristik>
 - 3- المصدر نفسه، مادة "علم المسيحية" - Christologie.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Christologie>
 - 4- جيمس أنس، "علم اللاهوت النظامي"، فصل "التوحيد والتثليث".
<http://answering-islam.org.uk/Arabic/Books/Theology/index.html>
 - 5- أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، دار مطبعة وهبة، القاهرة، 1398 هـ و 1978 م. ويمكن الرجوع أيضا إلى:
ابن قيم الجوزية، "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى"، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، المدينة المنورة، 1396 هـ و 1976 م.
د. محمد أبو زهرة، "محاضرات في النصرانية"، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1393 هـ و 1972 م.
 - 6- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "التثليث" - Dreifaltigkeit.
<http://de.wikipedia.org/wiki/dreifaltigkeit>
 - 7- كيرلس سليم بسترس، "الله الخالق" في موقعه "اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر".
<http://www.bustros.org/word/alkalik.html#1-%2020%الشكلانية>
 - 8- صفاء جمال بهنان، "مسيحيون أم نصارى"، موقع "بخديدا".
<http://www.bakhdida.com/SafaJamil/Nasara.htm>
 - 9- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "تاريخ الرسل" / Apostelgeschichte des Lukas.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Apostelgeschichte>
 - 10- من ذلك مثلا ما طرحه محمد أركون في كتابه "تاريخية الفكر الإسلامي العربي"، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1418 هـ / 1998 م.
 - 11- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "كليانثس" / Kleanthes.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Kleanthes>
 - 12- المصدر نفسه، مادة "فيلون" / Philo.
http://de.wikipedia.org/wiki/Philo_von_Alexandria
 - 13- جوستينوس، "حوار مع تروفون"، موقع "أصوات الإيمان".
<http://www.glaubensstimme.de/kirchenvaeter/justin/193.htm>
 - 14- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "أوريجينيس" / Origenes.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Origenes>
 - 15- أثينا جوراس، "صلاة من أجل المسيحيين"، موقع "أصوات الإيمان".
<http://www.glaubensstimme.de/kirchenvaeter/athenagoras/4.htm>
 - 16- رودولف شتاينر - Rudolf Steiner، "مقالات في الحكمة الإنسانية- Anthroposophie" في موقع يحمل العنوان نفسه
<http://www.anthroposophy.com/Steinerwerke/ga8012.html>
 - 17- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "التثليث" - Dreifaltigkeit.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Dreifaltigkeit>
 - 18- جيمس أنس، "علم اللاهوت النظامي"، فصل "التوحيد والتثليث".
<http://answering-islam.org.uk/Arabic/Books/Theology/chapter13.html>
 - 19- النصان المعربان منقولان كمثال عن موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "عيسى الناصري" / Jesus von Nazaret.
http://de.wikipedia.org/wiki/Jesus_von_Nazaret
 - 20- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "تاريخ الرسل" / Apostelgeschichte.
<http://de.wikipedia.org/wiki/Apostelgeschichte>
- ولم يكن قد بدأ التمييز بين الديانتين المسيحية واليهودية، وظهور تعبير "اليهود المنتصرين" وصفا لفئات رفضت القبول بما بدأ طرحه لاحقا في مسألة التثليث.

21- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "المسيحيون الأوائل" / Urchristen.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Urchristen>

22- المصدر نفسه، مادة "تيرتوليان" - Tertullian.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Tertullian>

23- المصدر نفسه، مادة "أوجستينوس" - Augustinus.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Augustinus>

24- المصدر نفسه، مادة "التثليث" - Dreifaltigkeit.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Dreifaltigkeit>

25- موقع "مركز الكلمة المسيحي".

http://www.servant13.net/quest/rong_christ.htm

وتهتمّ المواقع الناطقة بالعربية اهتماما أكبر بأطروحات "إنسان فقط..". فتحدّث عن هذه الأطروحات وأصحابها وطوائفها -جميعهم من المصنّفين كنسيا تحت عنوان الهرطقة/ الكفر- ويمكن لمن يريد العودة إلى التفاصيل في موقع "مركز الكلمة المسيحي" المذكور هنا، ومواقع شبكية أخرى عديدة انتشرت في الآونة الأخيرة ومعظمها حول محور شبيه بعنوان "الرّد على الإسلام" الذي اختاره أصحاب الموقع الشبكي الذي سبق الاستشهاد بمحتويات كتاب "علم اللاهوت النظامي" المنشور فيه. ومن الأمثلة الأخرى:

موقع "المتصّرون" (<http://www.mutenasserin.net/mutenasserin/arabic>)

موقع "الكلمة" وهو ذو طبيعة عدائية (<http://www.alkalema.us>)

وموقع "إسلاميات" (<http://www.islameyat.com/arabic>)، ولا علاقة له بموقع آخر يحمل اسم إسلاميات أيضا ولكن ينطلق من المنطلق الإسلامي واختار صيغة أخرى لكتابة عنوان نطاقه بالحروف اللاتينية وهي: (<http://www.islamiyyat.com>).

26- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "فرضيات التنبّي" / Monarchianismus، و"بولص من ساموزاتا" / Paulus von Samosata.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Spezial:Search?search=Monarchianismus>

http://de.wikipedia.org/wiki/Paul_von_Samosata

27- المصدر نفسه، مادة "التثليث" - Dreifaltigkeit.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Dreifaltigkeit>

28- موقع "المتصّرون".

http://www.mutenasserin.net/mutenasserin/arabic/fq/rong_christ.htm

29- موسوعة ويكيبيديا، الإصدار الألمانية، مادة "علم المسيحية" - Christologie.

<http://de.wikipedia.org/wiki/Christologie>

وهي مثال على ما يتوافر من دراسات وكتابات بالألمانية بهذا الصدد على نطاق واسع. ويتصل بموضوع البحث: جيرد تايسن/ Gerd Theißen وأنيتي ميرتس/ Annette Merz، "عيسى التاريخي" / Der historische Jesus، دار فاندنهوك وروبريخت/ Vandenhoeck & Ruprecht/ جوتينجن/ Göttingen، الطبعة الأولى 1996م 1417هـ. (وأعيدت طباعته مرارا).
نصوص البرنامج الوثائقي الإذاعي بمناسبة الألفية الميلادية الثالثة، على قسم العلوم في موقع "دار جنوب غرب ألمانيا للإذاعة والتلفزة/ Südwestrundfunk"

<http://www.wissen.swr.de/sf/begleit/bg0039/ch00.htm>